وزعموا بمعتقدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الاية فهذه الخصال خصال اليهود والمنافقين وهو ان يظهر الانسان في الظاهر قولا وفعلا وهذه الصورة التي اظهرها الله عليه حسن ومقصوده بذلك التوصل الى غرض له فاسد فيحمد على ما اظهر من ذلك الحسن ويتوصل به الى غرضه الفاسد الذي ابطنه ويفرح بحمده على ذلك الذي اظهر انه حسن وهو في الباطن شيء وعلى توصله في الباطن الى غرضه السيء الذي به تتم له المكيدة و تنفذ الحيلة بهذا الخداع فمن كانت هذه صفته فهو داخل في هذه الاية ولابد وهو متوعد بالعذاب الاليم ومثال ذلك ان يريد الانسان ذم رجل وتنقصه واظهار عيبه لينفر الناس عنه اما محبة لاذاه او لعداوته له واما مخافة من مزاحمة على مال او رياسة او غير ذلك من الاسباب المذمومة فلا يتوصل الى ذلك الا باظهار الطعن فيه بسبب ديني مثل ان يكون قد رد قولا ضعيفا من اقوال عالم مشهور فيشيع بين من يعظم ذلك العالم ان فلانا يبغض هذا العالم ويذمه ويطعن فيه فينفر بذلك كل من يعظمه ويوهمهم ان بغض هذا الراد واذاه من اعمال القرب لانه ذب عن ذلك العالم ودفع للاذى عنه وذلك قربة الى الله عز وجل وطاعة له فيجمع هذا المظهر للنصح بين امرين قبيحين محرمين احدهما انه حمل رد هذا العالم القول الاخر على البغض والطعن والهوى وقد يكون انما اراد به النصح للمؤمنين واظهار ما لا يحل له كتمانه من العلم والثاني انه يظهر الطعن عليه وارادة اذاه ليتوصل بذلك الى هواه وغرضه الفاسد في قالب النصح والذب عن علماء الشرع وبمثل هذه المكيدة كان ظلمة بني مروان واتباعهم يستميلون الناس اليهم وينفرون قلوبهم عن علي بن ابي طالب والحسن والحسين وذريتهم رضي الله تعالى عنهم فانه لما قتل عثمان رضي الله عنه لم تر الامة احق بالامر من علي فبايعوه فتوصلوا الى التنفير عنه بان اظهروا تعظيم قتل عثمان وقبحه وهو

في نفس

في نفس الامر كذلك لكن ضموا الى ذلك ان المؤلب على قتله والساعي فيه هو علي وهو كذب وبهت وقد كان رضي الله عنه يحلف ويغلظ الحلف على نفي ذلك وهو الصادق البار في يمينه فلما اظهروا ذلك نفرت قلوب كثيرة ممن لا خبرة عنده بحقائق الامور عن علي رضي الله عنه وبادروا الى قتاله ديانة وتقربا ثم الى قتال اولاده واجتهد اولئك في اظهار و اشاعته على المنابر في ايام الجمع وغيرها من المجامع العظيمة حتى استقر في قلوب اتباعهم الامر على ما قالوه وان بني مروان احق بالامر من علي وولده لقربهم من عثمان واخذهم بثاره فتوصلوا بذلك الى تاليف قلوب الناس عليهم وقتالهم لعلي وولده من بعدهم و ثبت بذلك لهم الملك واستوثق لهم الامر وكان يقول في الخلوة لمن يثق به كلاما معناه انه لم يكن احد من الصحابة الفى عثمان من علي فيقال له لم تسبونه اذا فيقول ان الملك لا يقوم الا بذلك ومراده انه لولا تنفير قلوب الناس عن علي وولده ونسبتهم الى ظلم عثمان لما مالت قلوب الناس اليهم لما علموا من صفاتهم الجليلة فكانوا يسرعون الى متابعتهم ومبايعتهم فيزول بذلك ملك بني امية وينصرف الناس عن طاعتهم

فصل

ومن بلي بشيء من هذا الاذى والمكر فليتق الله ويستعين به ويصبر فان العاقبة للمتقين كما قال تعالى بعد ان قص قصة يوسف عليه السلام وما حصل له من انواع الاذى بالمكر والخداع وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين وقال حكاية عنه انه قال لاخوته انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام وما حصل له ولقومه من اذى فرعون وكيده استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد اخبر الله عز وجل ان المكر السيء يعود وباله على صاحبه قال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقال تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر

Copyright © King Saud University